في أولى ندوات معرض القاهرة للكتاب: "مئة عام على كتاب في الشعر الجاهلي"... أزمة أثارها التخلف الاجتماعي وتصفية حسابات سياسية

25 - يناير - 2026

القاهرة ـ "القدس العربي": ضمن ندوات معرض القاهرة الدولي للكتاب في دروته الـ(57) التي تحمل اسم (نجيب محفوظ)، والممتدة في الفترة ما بين 21 يناير/كانون الثاني وحتى 3 فبراير/شباط 2026، أقيمت ندوة بعنوان (مئة عام على كتاب في الشعر الجاهلي)، قدمها وأدارها الإعلامي خالد عاشور، وشارك فيها كل من، حسين علي أستاذ الفلسفة في آداب عين شمس، صبري حافظ أستاذ النقد الأدبي والأدب المقارن في جامعة لندن، ومحمد عفيفي أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة القاهرة. ورغم اللغط الدائم حول الكتاب وصاحبه عميد الأدب العربي، إلا أن هذه الندوة الاحتفائية كشفت عن بعض الملابسات والمشكلات، التي صاحبت صدور الكتاب، والتي تبقى منها ـ لسوء الحظ ـ في ذاكرة أجيال عدة، توارثت ما تواتر من ادعاءات أو اتهامات أصابت طه حسين، ولاحقته حتى بعد رحيله! في ما يلي جانب من الندوة..

بداية أشار خالد عاشور إلى أن كتاب "في الشعر الجاهلي" الصادر عام

1926 ليس مهماً فحسب، وإنما هو الكتاب الأهم، ووفق العديد من الباحثين هو أهم كتاب أصدرته المطابع العربية في العصر الحديث، فمنذ صدوره حدث دوي كبير لم يزل يتردد حتى الآن. ونتساءل ماذا تبقى من الكتاب بعد مئة عام؟ وكيف يقيّم في الإطار المرحلي لمؤلفات طه حسين؟ وكذلك الردود التي تناولته وشكّلت عاصفة من الكتابات النقدية، التي كُتبت بأقلام كبار الكتاب في ذلك الوقت، مثل محمد الخضر حسين، محمود شاكر، ومحمد لطفي جمعه وغيرهم.

المنهج العلمي في دراسة الأدب

تحدث صبري حافظ بداية موضحاً، أن كتاب "في الشعر الجاهلي" هو أول كتاب يكتبه طه حسين في مجال الأدب العربي، فبعد عودته من فرنسا قام بتدريس التاريخ القديم، الذي تخصص فيه وكذلك اللغات القديمة في بعثته الدراسية. ثم قام بتدريس الأدب العربي لطلبته عام 1925، وكان نتيجة ذلك إصدار هذه المحاضرات تحت عنوان "في الشعر الجاهلي" عام 1926. وما صاحبه من ضجة يعود شق منه إلى شخصية طه حسين نفسه، وبالتالي خصومه، والشق الآخر يتمثل في نظام التعليم الذي انقسم بين تعليم أزهري وآخر جامعي. وقد توفرت لطه حسين ميزة التعليم الأزهري، وكذلك كان أول الملتحقين بالتعليم الجامعي أو المدني.

ويضيف حافظ.. ويعتبر الكتاب أول مؤلَف وضع أسس المنهج العلمي الحديث في تدريس النصوص الأدبية، أما المهاجمون فيأتي على رأسهم مصطفى صادق الرافعي، رداً على انتقاد طه حسين له من قبل حول أسلوبه القديم في الكتابة، فردّها الرافعي، وذهب بالموضوع إلى منحى آخر وهو، علاقة الكتاب بمبدأ (الإيمان)، وكأنه هو الذي يدافع عن القرآن ضد الذين يتهجمون عليه، بينما الكتاب لا علاقة له بالقرآن، لا من قريب ولا من بعيد، فالكتاب يرسي دعائم المنهج العلمي في التعامل مع النصوص الأدبية، ولحُسن الحظ أن هذا المنهج هو الذي استمر في الجامعات المصرية حتى الآن.

الجهل والشك

من جانبه يرى حسين علي، أن ما عاناه طه حسين عند صدور الكتاب من عنت واضطهاد ومصادرة، سببه الجهل والتخلف، هذا التخلف الذي ذهب ببصره في البداية، ثم تلك البيئة المتخلفة نفسها، التي حاولت إجهاض نجاحه في تأليف كتاب في الشعر الجاهلي. فطه حسين انتهج في الأدب المنهج الفلسفي الذي انتهجه ديكارت، خاصة القاعدة الأساسية عند ديكارت وهي (الشك)، حيث يقول طه حسين في مقدمته

للكتاب.. "علينا ألا نقبل شيئاً على أنه صحيح إلا إذا ثبت أنه كذلك". ورأي طه حسين أن هذا المنهج ينبغي استخدامه لا في مجال الفلسفة وحسب، بل في أفرع النشاطات الفكرية كافة، ومنها الأدب بصفة خاصة. هذا المنهج الذي استخدمه في أغلب مؤلفاته. ويضيف علي، أن طه حسين طرح مجموعة من الأسئلة فيما يتعلق بالشعر الجاهلي، منها، هل هناك شعر جاهلي؟ وإن كان فما السبيل إلى معرفته؟ وبما يتمثل عن غيره؟ هذه الأسئلة التي تحتاج إلى رؤية وجهد للإجابة عنها، حتى إن كان الأمر يمس الفكر الديني، إلا أنه لا يمس الدين. فطه حسين يواجه ما قاله العلماء بالتحفظ والشك، وهو نفسه ما فعله ديكارت وفرانسيس بيكون، مع سلطة أرسطو القديمة، وحينما فعل طه حسين ذلك قامت الدنيا ولم تقعد، ومنذ ذلك الحين ما زال الحال كما هو عليه.

الأزمة وسياقاتها

أما محمد عفيفي، فيرى أزمة طه حسين وكتابه من منظور سياق آخر، هو بالأساس سياق اجتماعي وسياسي، وهو القادر على تفسير تلك الأزمة، ولنتخيل أننا الآن في عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى وعالم ثورة 1919، والطفرة الكبرى التي صاحبت تلك الفترة، من تأسيس المملكة المصرية، دستور 1923، والانفصال عن الدولة العثمانية، ولا نستطيع أن نفصل ـ يقول عفيفي ـ أزمة (في الشعر الجاهلي) عن مثيلتها عام 1925 مع كتاب "الإسلام وأصول الحُكم" لعلي عبد الرازق، هنا كانت صراعات بين تيارات قديمة وأخرى جديدة بشكل كبير وحاد، والأزمة بالأساس كانت بين مؤسسة الأزهر والجامعة المصرية، التي أصبحت جامعة حكومية في عام 1925، فحدث التنافس بين نمطين من التعليم، ولم يقتصر على صراع نمط تفكيري معين، وإنما أيضاً كان صراعاً على الوظائف، فهل الذي يتولى الوظائف هم خريجو الأزهر ودار العلوم ـ كانت تتبع الأزهر وقتها ـ أم الأفندي خريج الجامعة المصرية؟ مَن الذي سيتولى تدريس اللغة العربية؟ كذلك دار صراعاً آخر حول هوية الدولة

المصرية، حيث كان البرلمان وقتها يناقش قضايا في غاية الحساسية، كإلغاء الأوقاف على سبيل المثال، والاحتفاء بتجربة أتاتورك ومحاولة الاقتداء بها.

تدخل السياسة في الفكر

ويأتي محمد عفيفي للسبب الأهم والمباشر لأزمة "في الشعر الجاهلي"، ذلك الكتاب الذي أهداه طه حسين إلى عبد الخالق ثروت باشا، وهو ما يدل على انتماء حسين إلى حزب الأحرار الدستوريين، ومن هنا نفهم لماذا ثار سعد زغلول ـ المستنير ـ على طه حسين وكتابه. ونفهم لماذا انتقل الصراع إلى مجلس النواب المصري بين سعد زغلول، الذي كان يترأس البرلمان، وعدلي يكن رئيس الوزراء، والمنتمي إلى الأحرار الدستوريين، حتى إنه كانت ستحدث أزمة ثقة بين المجلس والحكومة، وهي أزمة كارثية بمقاييس ذلك الزمن، وفق نظام الملكية الدستورية. ورغم أهمية الأفكار التي وردت في الكتاب، بما أنها تعيد فهم الأدب العربي، وكذلك التاريخ الإسلامي ـ الذي أعاد بالفعل كتابته طه حسين من خلال مؤلفاته.. "على هامش السيرة" و"مرآة الإسلام" ـ إلا أنها لم تكن العامل الوحيد لكل ما أثير حوله، من هنا ترجع أهمية فهم السياق التاريخي لتلك الفترة. إلى هنا ينتهي كلام محمد عفيفي، وتنتهي الندوة.
إلا أن التساؤل يفرض نفسه.. لماذا لم يحضر رأي مضاد ومختلف عن آراء الضيوف؟ لماذا الإصرار على أنهم يتحدثون دوماً في ما اتفقوا عليه؟ وماذا لو تخيلنا رأياً مختلفاً يناظر رأيهم؟ ألم يكن أجدى وأنفع من الحديث مع أنفسهم؟!

كلمات مفتاحية

محمد عبد الرحيم

اترك تعليقاً

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

إرسال التعليق

فصل الخطاب يناير 25, 2026 الساعة 4:30 م

ويبقى الشعر الجاهلي درة الأدب العربي بلا منازع يا فازع

رد

اشترك في قائمتنا البريدية

أدخل البريد الالكتروني *

اشترك

حولنا / About us

أعلن معنا / Advertise with us

أرشيف النسخة المطبوعة

جميع الحقوق محفوظة © 2026 صحيفة القدس العربي

adberries